

2014 02 17

في وزارة الخارجية، كانت كوندوليزا رايس التي ليست شخصيتي المفضلة، سَلْفِي، وجاء جون كيري بعدي، لم أكن إلا المرأة الثالثة التي شغلت المنصب في تاريخنا كله، كذلك كنت السيدة الأولى الوحيدة في الولايات المتحدة التي غدت عضواً في مجلس وزراء الولايات المتحدة، ليس سجلاً سيئاً بالنسبة إلى فتاة لم تنجح قط نجاحاً يكفي لإرضاء أبيها! ما الذي كان يمكنك أن تقولته تعليقاً يا بابا؟ أنا واثقة من أنك كنت ستقول: كان يتعين عليك أن تصبحي رئيسة للجمهورية!

جلسات استماع التثبيت في لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ بدأت في الثالث عشر من كانون الثاني/يناير عام 2009م، قبل تنصيب أوباما بأسبوع واحد، أتذكر بعض ما قلته في تلك الجلسات مثل: «أعتقد أن الطريقة الفضلى لخدمة مصالح أمريكا في اختزال الأخطار الكوكبية، والإفادة من الفرص المتاحة على النطاق العالمي، هي المبادرة إلى تصميم حلول كوكبية وتطبيقها، علينا أن نستخدم ما باتت تعرف باسم (القوة الذكية) مجمل طيف الأدوات التي هي تحت تصرفنا - الدبلوماسية، والعسكرية، والاقتصادية، والسياسية، والحقوقية، والثقافية - وموظفو الأداة أو باقة الأدوات المناسبة لدى التعامل مع

كل حالة؛ فمع القوة الذكية ستكون الدبلوماسية طليعة سياستنا الخارجية». رغم كرهه العميق جداً للحرب، كنت في الصف الأمامي لتجاوب الولايات المتحدة مع الربيع العربي، مع تلك الموجة الثورية من المظاهرات والاحتجاجات اللاعنافية والعنيفة في العالم العربي التي بدأت في كانون الأول/ديسمبر عام 2010م، لاحقاً دفعت نحو التدخل العسكري في ليبيا؛ لاعتقادي أن من شأن الانخراط العسكري المبكر أن يحول دون وقوع كارثة شبيهة بالهولوكوست لاحقاً، من المؤسف أنه لم يفعل، مع أنه يسرني أن أفيد بأنه أسهم في الإطاحة بدكتاتور ليبيا الفاسد معمر القذافي في عام 2011م.

ما إن اكتسبت قوات القذافي مزيداً من الزخم حتى باتت تهدد بارتكاب مجازر ضد مواطنين أبرياء أوائل عام 2011م، أعرب عدد من مستشاري أوباما النافذين بمن فيهم مندوبة أمريكا في الأمم المتحدة سوزان رايس ومساعد الأمن القومي بن رودس وسامانثا باور، عن تأييدهم لشن ضربات جوية، ومع أن أكثر من ثلثي الرأي العام كان معارضاً لرأيهم، فإنني التحقت بركب دعاة التدخل، على الدوام ظلت فلسفتي قائمة على أن الدبلوماسية، والتنمية، وعملية الدفاع، لا تكون فاعلة وناجحة ما لم تُستخدم معاً، لعل ذلك يُذكر بحكمة «تكلم بنعومة واحمل عصا غليظة» المنسوبة إلى تيودور روزفلت.

كان ثمة أمر غريب حول المبادرة المباشرة للشعوب كلها في تونس، وسوريا، ومصر، واليمن إلى إطلاق سلسلة من الثورات معاً في الوقت نفسه، على الدوام يسألني الناس: ما الذي حلَّ بهم؟ جوابي هو أن هذا كله كان يغلي تحت السطح منذ زمن طويل، ولم يكن أحد قد تنبأ بحدوث هذه الانفجارات المتزامنة كلها، إلا أن تحذيرات كانت تطلق منذ سنوات حول كون المنطقة شديدة الهشاشة وعدم الاستقرار؛ فحالة الفقر، وأنظمة الحكم الدكتاتورية، والانفجارات السكانية، والبطالة المتفشية بقسوة تشكل خلطة متفجرة، لم تكن الولايات المتحدة عاكفة على التخطيط لاعتماد مقاربة إستراتيجية شاملة إزاء الربيع العربي، بل تعاملت مع الوضع المختلف لكل بلد على نحو منفصل.